SIBAWAYH Arabic Language and Education Vol.3 No.1 2022
eISSN 2716-5515 (1-25)

العلل الصوتية بين التنظير والتطبيق

Acoustical ills between endoscopy and application

Marwa Abdul Basit Hameed
Al-Hikma College, Al-Ahlia University
Baghdad / Yarmouk / The Four Streets
marwah.abd@hiuc.edu.iq

Published: 30 December 2022

To Cite this Article (APA): Hameed, M. A. B. والتطبيق التنظير بين الصوتية العلل: Acoustical ills between endoscopy and application. *SIBAWAYH Arabic Language and Education, 3*(2), 1–25. https://doi.org/10.37134/sibawayh.vol3.2.1.2022

To link to this article: https://doi.org/10.37134/sibawayh.vol3.2.1.2022

المقدمة

الحمد الله خالق الألسن واللغات ، واضع الألفاظ للمعاني بحسب ما اقتضته كلمة البالغات ، والصلاة والسلام على أفصح الخلق لسانا، وأعذبهم بيانا، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه أكرم بهم أنصاراً وأعواناً

أما بعد...

كان أوائل العلماء والباحثين في العربية يعرفون قدر دراسة الأصوات اللغوية ، في اصطلاح الكتابة ويعتبرونها حجر الأساس لأي دراسة لغوية ، لذلك اعتمدوا عليها كثيرة . وأهتم علماء التجويد بأصوات القرآن الكريم ، فدرسوها مفردة وفي سياقها، فحددوا مخارج الأصوات وصفاتها ، وطريقة نطقها كما حددوا الظواهر الصوتية التي نتج الأصوات في المجموعات الكلامية وسموها بأسمائها فوصفوا لنا ظواهر الصوتية، مثل : الإظهار والإدغام، والتفخيم والترقيق ،والتحقيق ،والتسهيل ،والإبدال والحذف والإمالة والفتح وما إلى ذلك من الظواهر الصوتية، وعند دراسة مستويات اللغة نجد أن هنالك ترابطة بين الظاهرة الصرفية والظاهرة الصوتية، وكثير من الظواهر

الصرفية لا تفسر إلا على أساس صوتي لذلك تصدى علماء العربية لدراسة التغيرات الصوتية التي تحصل في الصيغة الصرفية، وكذا نجد الاهتمام البالغ للظاهرة الصوتية وعللها في مختلف علوم العربية الأخرى.

وتحسن الإشارة إلى أن البحث الصوتي العربي لم يضمه مصدر واحد، ولميتناوله عالم واحد، ولكنه تناثر بين طيات مصنفات علوم العربية المختلفة، الصوتيةمنها والنحوية الصرفية، والبلاغية، والتجويدية وإعجاز القرآن والمعاجم، وتعدد العلماءالذين أشاروا في إقامة صرحه وتوطيد بنيانه وكل ذلك يدل على عناية القدامى والمحدثين وتعلقهم بهذا الميدان لأهميته وأثره الفعال في تفسير كثير من الظواهر اللغوية.

لقد جاء هذا البحث مؤصلا للنظرية العربية في علم الأصوات : التي تطورت فيما بعد للتخصص في علم الصوت الوظيفي : التشكيلي وكان مجال ذلك تطبيقا وتنظيرة في أرقى نص عربي ؛ وهو القرآن الكريم .

أهمية الموضوع

إن الدراسة الصوتية هي عماد أي لغة من اللغات وبدونها لا يمكن لها أن ترتقي ؛ وإن أي دراسة لغوية لا تأخذ بعين الا باعتبار الجانب الصوتي كملحظ أساس تعد قاصرة وغير منتجة، كما ان هذا البحث يعالج موضوعا حديثا وليس مكررة فما وقفت عليه الباحثة من محاولات سابقة لا يعدو كونها إشارات منفصلة واسهامات عامة ، كما وتتبع أهمية هذا البحث من إنّه يحاول الربط بين العلوم العربية والدراسات القرآنية ويوضح العلاقة بين الدراسات اللغوية ودراسات القرآن الكريم. كما إنّه يوضح ويبين المدى الذي بلغه علماء العربية في دراسة الصوت.

أسباب اختيار الموضوع

لما تقدم من أهمية البحث آثرت أن أحكم ما كنت أحتكم إليه من قواعد وأحكام صوتية ، فلم أقف عند أسوار القاعدة الصوتية ، وتجشمت عناء الدخول في صلب ما يجري بلب الوضع القاعد ، أو الحكم عبر أهم ما يحتكم إليها اللغوي ؛ وهي العلة . ولأن العلة ركن من أركان القياس، وإليها يستند الحكم عند واضعه ، فضلًا عن كونها مصدر إقناع المتلقي ، فهي تتكفل بوضع التفسير المنسجم وطبيعة اللغة.
ومن هنا تكفل هذا البحث المتواضع برسم الخطوط العريضة ، ولاسيما أن التعليل الصوتي يتطلب معرفة الآلية والإجراء الصوتي الذي يعتمده اللغوي بغية الوصول إلى الحكم.
وحتى إذا استوت الرغبة ، وتولدت القناعة ؛ توجهت إلى البحث في العلل الصوتية بين التنظير والتطبيق) ويدفعني إلى ذلك أن الموضوع يجعلني ألم بطبيعة الدرس الصوتي ، فضلا عما يمكن الإسهاب به في هذا الميدان

منهج البحث

لقد انتهجت المنهج التحليلي واتبعت المنهج الوصفي.

خطة البحث

لقد احتوى البحث الموسوم (العلل الصوتية بين التنظير والتطبيق على مقدمة : اشتملت على أهمية الموضوع، أسباب اختياره ، منهج البحث، ومن ثَم انتظم البحث على مبحثين على النحو التالي : المبحث الأول : ماهية العلة في اللغة والاصطلاح ومعنى الصوت اللغوي، وفيه ثلاثة مطالب : كان المطلب الأول : العلة في اللغة ،

و الثـاني : العلـة فـي الاصـطلاح، والثالـث : جـاء للحـديث عـن الصـوت ومعنـاه ، المبحـث الثـاني : منهجيـة البحـث الصـوتي، وتضـمن أربعـة مطالـب علـى النحـو الآتـي: المطلـب الأول: القـرآن الكـريم والصـوت اللغـوي، المطلـب الثـاني : الخليـل ومدرسـته الصـوتية، المطلـب الثالـث: الصـوت فـي منهجيـة سـيبويه ، المطلـب الرابـع: الصـوت في منهجية ابن جني.

وختمـت البحـث المتواضـع الموسـوم (العلـل الصـوتية بـين التنظيـر والتطبيـق) بخاتمة اشتملت على أهم نتائج البحث.

ماهية العلة في اللغة والاصطلاح ومعنى الصوت اللغوي

المطلب الأول :

العِلة في اللغة : مأخوذة من "علَّ"، وللعلة في اللغة أكثر من معنى منها:

الأول : تكـرار الشـيء، أو تكريـره، ومنـه العـل، وهـي الشـربة الثانيـة، يقـال: علـت بعـد نقل، وعله ويعله، إذا سقاه السقية الثانية[1].

الثـاني :التشـاغل والتلهـي، يقـال: تعلـل بـالأمر واغـت: تشـاغل، وعللـه بطعـام وحـديث ونحوهمـا، شـغله بهمـا، ويقـال: فـلان يعلـل نفسـه بتعلـة، وتعلـل بـه، أي: تلهـى بـه وتجـرا، وتعلل بالمرأة تعلة: لؤث بها[2].

الثالـث : المـرض، يقـال :علـى الرجـل يعـل عِلَّـة فهـو عليـل، ورجـل عِلَّـة؛ أي: كثيـر العِلل[3].

---

1) ينظـر: العـين، أبـو عبـد الـرحمن الخليـل بـن أحمـد بـن عمـرو بـن تمـيم الفراهيـدي البصـري (المتـوفى: ١٧٠هـ)، تحقيـق: د مهـدي المخزومـي، د إبـراهيم السـامرائي، دار ومكتبـة الهـلال، ١/٨٨، الصـحاح تـاج اللغـة وصـحاح العربيـة، أبـو نصـر إسـماعيل بـن حمـاد الجـوهري الفـارابي (المتـوفى: 395 هـ)، تحقيـق: أحمـد عبـد الغفـور عطـار، دار العلـم للملايـين - بيـروت، ط/4، 1407 ه - ١٩٨٧ م، 5 / ١٧٧٣، معجـم مقـاييس اللغـة، أحمـد بـن فـارس بـن زكريـاء القزوينـي الـرازي، أبـو الحسـين (المتـوفي: 395هـ)، تحقيـق: عبـد السـلام محمـد هـارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، 12/4.

2) لسـان العـرب، محمـد بـن مكـرم بـن علـى، أبـو الفضـل، جمـال الـدين ابـن منظـور الأنصـاري الرويفعـى الإفريقـي (المتـوفى: ٧١١هـ)، دار صـادر - بيـروت، ط3، 1414 ه، ١١/ 468، ٤٧٠، القـاموس المحـيط، مجـد الـدين أبـو طـاهر محمـد بـن يعقـوب الفيروزآبـادي (المتـوفى: ٨١٧ه)، تحقيـق: مكتـب تحقيـق التـراث فـي مؤسسـة الرسـالة، بإشـراف: محمـد نعـيم العرقسوسـي، مؤسسـة الرسـالة للطباعـة والنشـر والتوزيـع، بيـروت - لبنـان ، ط/٨، 1426 هـ - 2005 م، ص 1035 تـاج العـروس مـن جـواهر القـاموس، محمـد بـن محمـد بـن عبـد الـرزاق الحسـيني، أبـو الفـيض، الملقـب بمرتضـى، الربيـدي (المتـوفى: 1205هـ)، تحقيـق: مجموعـة مـن المحققـين، دار الهدايـة، ٤٤/٣٠.

3) ينظر: مقاييس اللغة ، 12/4.، ، ولسان العرب، ١١ / ٤٦٧، وتاج العروس، 44/30.

الرابع : الشبيب، يقال: هذا علة لهذا؛ أي: سبب له[1].

والذي تراه الباحثة أن هذا الأخير هو المناسب للمعنى الاصطلاحي؛ لأن لكل فعل واقع سياقي وغرضا يساق من أجلهما، فلا فعل من دون علة أو سبب يوضح قصد تحصيل الحكم، أو يفسر حدوثه ووجوده.

ومما تقدم يمكن القول : أنَّ هناك علاقة بين المعاني اللغوية الأخرى بالعلة إذا كانت بمعنى السبب؛ فمثلا التكرار أو التكرير سميت العلة بذلك؛ لأن العالم أو المجتهد أو الباحث يعاود النظر مراتٍ عدة في استخراجها، والتشاغل سميت العلة بذلك ؛ لأن المجتهد تشاغل بالبحث لاستخراج العلل وإطلاق الأحكام عليها، أما المرض فقد سميت العلة بذلك؛ لأنها غيرت حال المحلي؛ أخذا من علة المريض؛ لأنها اقتضت تغيير حاله [2]، قال الكفوي : "وإنما سمي أحد أركان القياس علة؛ لأن العلة المرض، فكان تأثيرها في الحكم كتأثير العلة في المريض"[3].

وعلى ما تقدم يمكن القول: بأنَّها معنى يحل بالمحل فيتغير به حال المحل ، ومعنى المرض، والحدث : يشغل صاحبه عن وجهه أو حاجته, وقد توضع العلة موضع العذر, وقد ترادف العلة السبب, فيقال هذا علة لهذا أي : سبب له[4].

ويتضح بعد مراجعة المعجمات أن مدار معاني العلة لغةً أنها معنى يحك بالمحل فيتغير به حال المحل بلا اختيار ومنه يسمى المرض : علة, لأنه بحلوله يتغير حال

1) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: 458 ه) تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط1، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م، 95/1 ولسان العرب ، ١١/ ٤٧١، وتاج العروس ، 48/30.

2) ينظر: التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفي: 816هـ)، حققه وضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1403هـ -١٩٨٣م، ص 154، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ٢٠ وما بعدها.

3) الكليات، ص 621.

4) لسان العرب،496/13، التعريفات الجرجاني (المتوفي: 816هـ)، ص 49، تاج العروس من جواهر القاموس، 32/8.

الشخص من القوة إلى الضعف[1] أما اقتران العلة بالسبب فلأن السبب هو الحبل وكل شيء يتوصل به إلى غيره[2].

والمعنى المأثور للعلة لغةً أنَّها: (عبارة عن معنى يحل بالمحل فيتغير به حال المحل، ومنه سمي المرض علة، وهي ما يتوقف عليه الشيء)[3].

والتعليل اللغوي في مراحله المتقدمة يتمثل في البحث عن الأسباب التي تكمن وراء الظاهرة اللغوية, وهو تعليل فطري إذا كان بحثا على هامش تلك الظواهر والقواعد[4].

المطلب الثاني :العلة في الاصطلاح

يرى الدكتور مازن المبارك أن العلة هي: (الوصف الذي يكون مظلة وجه الحكمة في اتخاذ الحكم، أو بعبارة أوضح: هي الأمر الذي يزعم النحويون أن العرب لاحظته حين اختارت في كلامها وجها معينا من التعبير والصياغة[5].

والملاحظ أن نقطة الالتقاء بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي هي كون الحكم الذي يطلقه النحوي أو الصرفي لا بد أن يكون له سبب يدعو إليه ويسوغه، سئل أحمد بن الخليل عن العلل التي يعتل بها في النحو، فقيل له - فيما يرويه الزجاجي في كتابه (الإيضاح في علل النحو) :- (عن العرب أخذتها أم اخترتها من نفسك؟ فقال: إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله، وإن لم ينقل ذلك عنها، واعتللك أنا بما عندي أنه علة لما عللته منه؛ فإن أكن اصبت العلة، فهو الذي التمست، وإن تكن هناك علة غير ما ذكرت، فالذي ذكرته محتمل أن يكون علة له، ومثلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل دارا محكمة

---

1) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1978/1398م ، ص٢٠ ، التعريفات ،ص١٢٨.

2) مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفي: 666هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، طاه، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص ٢٨١ .

3) الكليات ، ص 620.

4) التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم الصوت الحديث، د. عادل نذير بيري الحساني ، ديوان الوقف السني ، بغداد ، مركز البحوث والدراسات الإسلامية ، ط1، 1430هـ. ٢٠٠٩م، ص ١٨.

5) النحو العربي لعلة النحوية، نشأتها وتطورها، د. مازن المبارك، دار البشائر ، دمشق، ط4، 1424هـ ٢٠٠٣، ص ٩٠.

البناء، عجيبة النظم والأقسام، وقد صممت عنده حكمة بانيها، بالخبر الصادق أو بالبراهين الواضحة، والحجج اللائحة، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها، قال: إنما فعل هذا هكذا؛ لعلة كذا وكذا، ولسبب كذا وكذا، سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك، فجائز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة، إلا أن ذلك مما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة لذلك، فإن سنح لغيري علة لما عللته من النحو هو أليق مما ذكرته بالمعلول، فليأت بها)[1].

وعلى هذا فان العلة الصوتية : (هي التي ترادف كل حكم لغوي سواء أكان صوتيا أم صرفا أم نحويا)[2]

المطلب الثالث: معنى الصوت اللغوي

الصوت لغة : ((الجرس ، والجمع أصوات : قال ابن السكيت : الصوت صوت الإنسان وغيره ، والصائت : الصائح ، ورجل صيت : أي شديد الصوت))[3]، ((ورجل صائت : حسن الصوت شديده، وكل ضرب من الأغنيات صوت من الأصوات))[4].

والأصوات في اللغة ، نابع عن تحولات المجتمعات البشرية من ساذجة إلى متطورة ، أو من بدائية إلى متحضرة ، وما يرافق هذا التحول من تحول بالعلاقات الاجتماعية ، والمناخ القومي العام ، مما ينطبع أثره على الظواهر الاجتماعية وأبرزها اللغة لأنها أكبر ظواهره التفاهمية والتخاطبية ، فتتحول تدريجيًا إلى لغة متطورة في كثير من أبعادها المرتبطة بتطور مجتمعها ، إذ لا يمكن أن ينفصل التفكير في تحول مسار لغة ما عن التفكير في تحول مسار متكلمي تلك اللغة ، فاللغة تطورها جزء لا يتجزأ من المحيط في تطوره ، وليس بالضرورة التطور إلى الأفضل بل قد تتطور اللغة إلى شيء آخر يعود بها التدهور والانحطاط ، تفقد فيه جملة من خصائصها الفنية أو الصوتية أو الجمالية ، وتنسلخ فجأة عن ملامحها الذاتية وتستبدلها بما هو أدنى قيمة لغوية.

---

1) الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (المتوفى 340هـ)، تحقيق : مازن المبارك، دار النفائس ،بيروت، ط1402،4 هـ. 1982م، ص66.

2) مناهج البحث في اللغة ، تمام حسان ،دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط/١، 1955م، ص 205 ، التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم الصوت الحديث، الحساني ، ص٣٨.

3) لسان العرب 2/ 57.

4) العين 146/7.

وقد تزدهر ازدهارًا يفوق حد التصور إذا كانت بسبيل من حماية أصالتها كما الحال في اللغة العربية إذ يحرسها القرآن العظيم والتحول التأريخي هذا لا يعنينا الاهتمام بأمره كثيرًا في ظاهرة الصوت اللغوي ، وإنما يعني هذا البحث بالشق الآخر من التحول وهو التحول التركيبي الذي ينشأ عادة نتيجة لظواهر تغيير أصوات اللغة الواحدة ، واستبدال صوت منها بصورة آنية أو دائمية ، فما استجاب للإبدال الصوتي الموقت يطلق عليه مصطلح المماثلة ، وما استجاب للإبدال الصوتي الدائم يطلق عليه مصطلح المخالفة . هذا ما يبدو لي في التحول التركيبي ، وهذه علة هذين المصطلحين ، وقد يوافق هذا الفهم قوما ، وقد لا يرتضيه قوم آخرون ، ولكنه ما توصلتُ إليه في ظاهرتي المماثلة والمخالفة في التراث العربي واللغة منه بخاصة[1].

أ. المماثلة : ظاهرة أصواتية تنجم عن مقاربة صوت لصوت ، فكلما اقترب صوت من صوت آخر، اقتراب كيفية أو مخرج، حدثت مماثلة، سواء ماثل أحدهما الآخر أو لم يماثله[2] . والمماثلة أنواع أبرزها :

١. المماثلة الرجعية ، ومعناها : أن يماثل صوت صوتا آخر يسبقه.

٢. المماثلة التقدمية ، ومعناها : أن يماثل الصوت الأول الصوت الثاني.

٣. المماثلة المزدوجة ، ومعناها : أن يماثل صوت الصوتين اللذين يحوطانه[3].

والمماثلة في أنواعها متناسقة الدلالة في اللغة العربية في حالات الجهر والهمس ، والشدة والرخاوة ، والإطباق والانفتاح ، مما يتوافر أمثاله في مجال الصوت ، وتنقل مجراه . إن انتقال حالة الجهر في الصوت العربي إلى الهمس في المماثلة الرجعية شائع الاستعمال في أزمان موقوتة لا تتعداها أحيانا إلى صنعة الملازمة والدوام ، وإنما تتبع حالة المتكلم عند الممازجة بين الأصوات أو في حالة الإسراع، وهناك العديد من الكلمات العربية قد أخضعت لقانون المماثلة الرجعية ، وهي أوضح فيما اختاره عبد الصبورشاهين ، فالكلمة (أخذت) مثلا مما نظر له عنها ، (أخذت) حينما تنطق آنية (أ) فقد آثرت التاء في (أخذت) وهي مهموسة ، في

1) دراسة الصوت اللغوي ، الدكتور أحمد مختار دمر ، مطابع عالم، الكتب ، القاهرة ، 1396هـ - ١٩٧6م ، ص 324 في البحث الصوتي عند العرب ، خليل إبراهيم العطية، دار الجاحظ للنشر بغداد، ١٩٨٣م ، ص133

2) ينظر : المماثلة الصوتية في اللغة العربية ، شادي مجلي عيسى سكر ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط/٣ ، 1961م، ص ١١ وما بعدها، دراسة الصوت اللغوي ، 324 و البحث اللغوي عند العرب ، د. أحمد مختار عمر ، منشورات عالم الكتب ، القاهرة ، ط4، ١٩٨٢ م، ص ٨٣.

3) المماثلة الصوتية في اللغة العربية ، شادي مجلي ، ص14 وما بعدها، دراسة علم الأصوات، عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب ، القاهرة ، 1985 م. ص 14 وما بعدها.

الذال قبلها وهي مجهورة ، فأفقدتها جهرها ، وصارت مهموسة مثلها، وتحولت إلى تاء ، ثم أدغم الصوتان .

أما عن المماثلة التقدمية ، فإن في العربية بابًا تقع فيه هذه المماثلة بصورة قياسية ، في صيغة (افتعل . افتعالا) حيث يؤثر الصامت الأول في الثاني ، قال تعالى : ((وأذكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون))[1] الفعل : هو ذكر ، وصيغة (افتعل افتعالا) منه (إذتكر . إذتكارًا) إذ تزاد الألف في الأول ، والتاء تتوسط بين فاء الفعل وعينه ، فيكون الفعل (إذتكر) والذال مجهورة ، والتاء مهموسة ، فتأثرت التاء بجهر الذال ، فعادت مجهورة ، والتاء إذا جهر بها عادت دالا ، فتكون : (إذْدَكر) والدال تؤثر في الذال بشدتها ، فتتحول الذال من صامت رخو إلى صامت شديد (دال) ثم تدغم الدالان ، فتكون (ادَّكر)[2] .

ب . وأما المخالفة إلى تأكيد الاختلاف بين وحدتين أصواتيتين ، إذا كانت الوحدات الأصواتية موضوع الخلاف متباعدة أو تؤدي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين[3] .

ويدل الاستقراء المنهجي لعلم الأصوات عند العرب أن قوانين علم الصوت العربي لم تفتها ظاهرة المخالفة بل تابعتها بحدود متناثرة في كتب اللغة والنحو والتصريف ، وهو ما فعله علماء العربية في التنظير للمخالفة تارة ، وبدراستها تارة أخرى ، منذ عهد الخليل بن أحمد (ت : 175 هـ) حتى ابن هشام الأنصاري (ت : ٧٩١ هـ)[4].

يقول الدكتور عبد الصبور شاهين (عرفَتْ العربية ظاهرة المخالفة في كلمات مثل : تظن ، حيث توالت ثلاث نونات ، فلما استثقل الناطق ذلك تخلص من أحدها بقلبها صوت علة فصارت : تظني .. ولها أمثلة في الفصحى مثل : نفث المخ : أنفثته نفثة ، لغة في نقوته ، إذا استخرجته ، كأنهم أبدلوا الواو تاء)[5].

---

1) يوسف: من الآية45.

2) ينظر : إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى:338 هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٤٢١هـ ، 204/2، دراسة علم الأصوات ، عبد الصبور شاهين ، ص 145، المماثلة الصوتية مظاهرها في القرآن الكريم ، د. عون المبروك زقلم، منشورات جامعة الزاوية ، ليبيا ، 1998م، ص 6 وما بعدها.

3) مناهج البحث في اللغة تمام حسان ، ص134 ، الاصوات اللغوية ، ابراهيم انيس ، القاهرة ط/ 4، 1971 ، ص211.

4) المرجع السابق ،ص ٢١٢، الأصوات اللغوية، د. عبد القادر عبدالجليل ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١، ١٩٩٨م ص 155

5) دراسة علم الاصوات ، عبد الصبور شاهين ص150.

المبحث الثاني

منهجية البحث الصوتي:

المطلب الأول: القرآن الكريم والصوت اللغوي

اتخذت المباحث الصوتية عند العرب القرآن أساسا لتطلعاتها ، وآياته مضمارًا لاستلهام نتائجها حينما تمازج بين الأصوات واللغة ، وتقارب بين اللغة والفكر، فإنما تتجه بطبيعتها التفكيرية لرصد تلك الأبعاد مسخرة لخدمة القرآن الكريم ، فالقرآن كتاب هداية وتشريع لا شك في هذا ، ولكنه من جانب لغوي كتاب العربية الخالد ، يحرس لسانها ، ويقوم أود بيانها ، فهي محفوظة به ، وهو محفوظ بالله تعالى : ((إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون))[1] لهذا بقيت العربية في ذروة عطائها الذي لا ينضب ، وظلت إضاءتها في قمة ألقها الذي لا يخبو ، فكم من لغة قد تدهورت وتعرضت لعوامل الانحطاط ، وانحسرت أصالتها برطانة الدخيل المتحكم من اللغي الأخرى ، فذابت وخمد شعاعها الهادي ؛ إلا العربية فلها مدد من القرآن ، ورافد من بحره المتدفق بالحياة ، تحسه وكأنك تلمسه ، وتعقله وكأنك تبصره ، فهو حقيقة مستطيلة لا تجحد ، مسك القرآن باللسان العربي عن الانزلاق ، وأفعم التزود اللغوي عن الارتياد في لغات متماثلة ، حتى عاد اللسان متمرسا على الإبداع ، والتزود سبيلا للثقافات الفياضة ، لا يحتاج إلى لغة ما ، بل تحتاجه كل لغة[2].

ورصد أية ظاهرة لغوية يعني العناية باللغة ذاتها ، ويتوجه إلى ترصين دعائمها من الأصل ، لأن الأصوات بانضمام بعضها إلى بعض تشكل مفردات تلك اللغة ،

---

1) الحجر : (9).
2) ينظر : الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس ، ص ٧. دراسة علم الأصوات ، عبد الصبور شاهين ،ص 150.

والمفردات وحدها تمثل معجمها ، وبتأليفها تمثل الكلام في تلك اللغة ، والقدرة على تناسق هذا الكلام وتآلفه ، من مهمة الأصوات في تناسقها وتآلفها ، وتنافر الكلمات وتهافتها قد يعود على الأصوات في قرب مخارجها أو تباعدها ، أو في طبيعة تركيبها وتماسها ، أو من تداخل مقاطعها وتضامنها ، ذلك أن اللغة أصوات. ومصدر الصوت الإنساني في معظم الأحيان هو الحنجرة ، أو بعبارة أدق : الوتران الصوتيان فيها ، فاهتزازات هذين التوترين هي التي تنطلق من الفم أو الأنف ثم تنتقل خلال الهواء الخارجي[1].

ولغتنا العربية كبقية لغات العالم ؛ عبارة عن أصوات متألفة تنطلق من الوترين الصوتيين لتأخذ طريقها إلى الخارج[2].

بيد أن العربية سميت باسم صوت متميز بين الأصوات فعاد معلمًا لها ، ومؤشرًا عليها ، فقيل : لغة الضاد، ومع أن ابن فارس (ت : ٣٩٠ ه) يقول : (ومما اختصت به لغة العرب الجاء والظاء)[3]. إلا أن الضاد يبقى صوت صارخًا في العربية لا مشابه له في اللغات العالمية ، بل وحتى في اللغات السامية القريبة الأصر من اللغة العربية ، وكان لهذا الصوت نصيبه من الالتباس بصوت (الظاء) فكانت الإشارة منا في عمل مستقل إلى الاختلاف فيما بين الضاد والظاء حتى عند العرب انفسهم ، وأن الالتباس بالضاد كان ناجمة عن مقاربتها للظاء في الأداء ، وعدم تمييز هذين الصوتين حتى لدى العرب المتأخرين عن عصر القرآن[4].

ومن عجائب القرآن الأدائية ، وضعه هذين الصوتين في سياق واحد ، وبعرض مختلف ، في مواضع عديدة من القرآن ، ذلك من أجل الدربة الدقيقة على التلفظ بهما، والمران على استعمالهما منفصلين ، بتفخيم الضاد وترقيق الظاء ،ﭧ ﭨ ﭩ □□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ ﭧ ﭨ ﭩ □□□□□□□□□□□□□□□ □□□[5].

فالظاء في (غليظ) والضاد في (أعرض) وفي (عريض) مما تواضع الأوائل على قراءته بكل دقة وتمحيص ، وميزوا بذائقتهم الفطرية فيما بين الصوتين. والحاء بالعربية تنطق (هاء) في بعض اللغات السامية ، وكذلك صوتها في اللغات

1) ينظر: الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس ، ص٨، الأصوات اللغوية، د. عبد القادرعبد الجليل ، ص 155.
2) الأصوات اللغوية، د. عبد القادر عبدالجليل ، ص 156.
3) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفي: 395هـ)، محمد علي بيضون، ط1، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ص63.
4) منهج الدرس الصوتي عند العرب ، علي خليف حسين، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٢م، ص ٩٢ وما بعدها .
5) فصلت : 50 – 51.

الأوربيـة ، فهمـا مـن مخـرج واحـد (ولـولا هتـة فـي الهـاء لأشـبهت الحـاء لقـرب مخـرج الهاء من الحاء)[1].

ولعمق التوجه الصوتي في القرآن لدى التمييز بين المقاربات نجده يضعهما في سياق واحد في كثير من الآيات ، من أجل السليقة العربية الخالصة ،
ﭑﭒﭓﭔ□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□
□□□□□□□□□□□□□ [2]

فالحـاء مـن « فسيحوا » والهـاء مـن (أشـهر) فـي الآيـة الأولـى إلـى جنـب الهـاء مـن (الله ورسـوله) والحـاء مـن (الحـج) فـي الآيـة الثانيـة ، جـاءت جميعهـا بسـياق قرآنـي متناسـق فـي هـدف مشـترك للتمييـز بـين الصـوتين حينًـا ، وللحفـاظ علـى خصـائص العربيـة حينًـا آخـر ، ولبيـان اختلاطهمـا عنـد غيـر العربـي المحـض ، فـلا يسـتطيع أداء (الحـاء) تأديتـه (الهـاء) إذ قـد يلتبسـان عليـه ، وهـو جانـب فنـي حـرص القـرآن علـى كشـفه بعيـدا عـن الغـرض الـديني إلا وجـوب أداء القـرآن قـراءة كمـا نـزل عربيًـا مبيناً[3].

لهـذا نـرى أن القـرآن هـو القاعـدة الصـلبة للنطـق العربـي الصـحيح لجملـة أصـوات اللغـة ، ولا سـيما الضــاد والظــاء أو الحــاء والهــاء ، فــي التمــرس عليهمــا والتفريــق الــدقيق بينهما[4].

يقــول الــدكتور (أحمــد مطلــوب) عضــو المجمــع العلمــي العراقــي : (إن مــن أهــم خصــائص العربيــة ثبــات أصــوات الحــروف فيهــا ، لأن جــوهر الصــوت العربــي بقــي واضــحًا ، وهـو مـا يتمثـل فـي قـراءة القـرآن الكـريم وإخـراج الحـروف الصـامتة إخراجـة يكـاد يكـون واحـدة[5]. لأن اللغـة العربيـة تسـتمد أصـولها مـن القـرآن ، بـل تبقـى أصـولها ثابتــة فــي القــرآن ، وأولويــات هــذه الأصــول هــي الأصــوات لأن الأصــوات أصــل اللغات[6].

ولا غرابـة بعـد هـذا أن يكـون اسـتقراء ملامـح الظـاهرة الصـوتية فـي التـراث العربـي الإسـلامي يوصـلنا إلـى أن القـرآن الكـريم هـو المنطلـق الأسـاس فيهـا ، وأنـه قـد نبـه

1) العين : 57/1.
2) التوبة : 2-3.
3) منهج الدرس الصوتي عند العرب ، علي خليف حسين، ص95 وما بعدها..
4) أبحـاث فـي أصـوات العربيـة ، الـدكتور حسـام سـعيد النعيمـي ، دار الشـؤون الثقافيـة العامـة ، بغـداد ، ط/١، ٩٩١م، ص ١١٣.
5) بحوث لغوية، د. احمد مطلوب، منشورات دار الفكر - عمان، ط/١ ، ١٩٨٧ م، ص ٢٧.
6) البحث اللغوي عند العرب ، د. أحمد مختار عمر ، ص 86.

بتأكيد بالغ على مهمة الصوت اللغوي في إثارة الإحساس الوجداني عند العرب ، وإيقاظ الضمائر الإنسانية للتوجه نحوه لدى استعماله الحروف الهجائية المقطعة في جمهرة من فواتح السور القرآنية ، وفي أسرار فواصل الآيات ، وفي قيم الأداء القرآني ، وفي الدلالة الصوتية للألفاظ في القرآن[1].

وقد كانت الدراسات القرآنية على نوعين كتب إعجاز القرآن وكتب القراءات. أما كتب إعجاز القرآن ، فقد كان المجلي فيها بالنسبة للصوت اللغوي علي بن عيسى الرماني (ت : 386 هـ) فهو أبرز الدارسين صوتيًا ، وأقدمهم سبقا إلى الموضوع ، وأولهم تمرسًا فيه ، إلا أنه بالضرورة قد مزج بين دراسة الأصوات وعلم المعاني مطبقاً تجاربه في باب التلاؤم تارة ، ومتخصصة لدراسة فواصل الآيات بلاغية، أما التلاؤم الصوتي عند الرماني فهو نقيض التنافر ، والتلاؤم تعديل الحروف في التأليف ، لأن تأليف الكلام على ثلاثة أوجه : متنافر ، ومتلائم في الطبقة الوسطى ، ومتلائم في الطبقة العليا[2].

ويعود الرماني بالتلاؤم إلى تجانس الأصوات ، ولما كانت أصوات القرآن متجانسة تماما ، فإن القرآن كله متلائم في الطبقة العليا ، وذلك بين لمن تأمله ، والفرق بين القرآن وبين غيره من الكلام في تلاؤم الحروف على نحو الفرق بين المتنافر والمتلائم في الطبقة الوسطى ، وبعض الناس أشد إحساسًا بذلك وفطنة له من بعض[3].

وأما كتب القراءات ، فقد انتهى كثير منها بإعطاء مصطلحات صوتية اقترنت بالنحو تارة وباللغة تارة أخرى ، وتمحضت للصوت القرآني بينهما ، وكان ذلك في بحوث متميزة برز منها : الإدغام ، الإبدال ، الإعلال ، الإخفاء ، الإظهار ، الإشمام ، الإمالة ، الإشباع ، المد ، التفخيم ، الترقيق مما اصطنعه علماء الآداء الصوتي للقرآن[4].

إنَّ الصوت اللغوي في القرآن قد بحث متناثرًا هنا وهناك في مفردات حية ، تتابع عليها جملة من الأعلام المبرزين الذين اتسمت جهودهم بالموضوعية

---

1) التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم الصوت الحديث، د. الحساني ، ص115.

2) النكت في إعجاز القرآن ، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (المتوفى: 384هـ)، تحقيق : محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام ، دار المعارف بمصر ،ط/٣، 1976م، ص 94.

3) المصدر السابق ، ص 95 وما بعدها.

4) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ، أبو عمرو بن العلاء، د. عبد الصبور شاهين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ،ط/١، ١٩٨٧م ، ص 156، أبحاث في أصوات العربية ، الدكتور حسام سعيد النعيمي ، ص ١١٧.

والتجرد وبيان الحقيقة ، كان منهم : علي بن عيسى الرماني (ت : 386 هـ) وأبو بكر الباقلاني (ت : 304 هـ) وأبو عمر الداني (ت : 444 هـ) ومحمد بن الحسن الطوسي (ت : 460 هـ) وجار الله الزمخشري (ت : 538 هـ) وأبو علي الطبرسي (ت : 548 هـ) وعبدالله بن محمد النكزاوي (ت : 683 هـ) وإبراهيم بن عمر الجعبري (ت : ٧٣٢ هـ) وبدر الدين الزركشي (ت : 794 هـ) وجلال الدين السيوطي (ت : ٩١١ هـ)[1].

المطلب الثاني : الخليل ومدرسته الصوتية

ذهب الدكتور المخزومي : (أن الخليل أول من التفت إلى صلة الدرس الصوتي بالدراسات اللغوية الصرفية ، الصرفية والنحوية ، ولذلك كان للدراسة الصوتية من عنايته نصيب كبير ، فقد أعاد النظر في ترتيب الأصوات القديمة ، الذي لم يكن مبنياً على أساس منطقي ، ولا على أساس لغوي ، فرتبها بحسب المخارج في الفم ، وكان ذلك فتحة جديدة ، لأنه كان منطلقة إلى معرفة خصائص الحروف وصفاتها)[2].

لم تكن هذه الأولية اعتباطية ، ولا الحكم بها مفاجئا ، فهما يصدران عن رأي رصين لأن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت : 175 هـ) هو أول من وضع الصوت اللغوي موضع تطبيق فني في دراسته اللغوية التي انتظمها كتابه الفريد (العين) بل هو أول من جعل الصوت اللغوي أساس اللغة المعجمي ، فكان بذلك الرائد والمؤسس[3] .

جاء في مقدمة تحقيق كتاب العين (لا أريد التحدث عن أهمية كتاب العين في حياة الدرس اللغوي ولكن أود الإشارة أن كتاب العين ذو شقين : الأول المقدمة ، والثاني الكتاب بمادته اللغوية وتصريفاته الإحصائية المبتكرة التي اشتملت على المهمل والمستعمل في لغة العرب.

1) التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه ، د. رمضان عبد التواب ، دار الرفاعي ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط1، ١٩٨٣م ص ٧٨ ، الإعجاز النحوي في القرآن الكريم ، الدكتور فتحي عبد الفتاح الدجني ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ط1، 1984م ، ص ٢٣٠.

2) في النحو العربي ، قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث ، د. مهدي المخزومي ، مطبعة مصطفى البابي، ط1، 1996م، ص 4.

3) المرجع السابق ، ص 5.

والذي يعنينا في مدرسة الخليل الصوتية مواكبة هذه المقدمة في منهجيتها التبويب الكتاب ، وبيان طريقته في الاستقراء ، وإبداعه في الاحصاء ، ورأيه في الاستنباط ومسلكية التصنيف الجديد ، والأهم الذي نصبو إليه « إن مقدمة العين على إيجازها ؛ أول مادة في علم الأصوات دلت على أصالة علم الخليل ، وأنه صاحب هذا العلم ورائده الأول)[1].

يبدأ الخليل المقدمة بالصوت اللغوي عند السطر الأول بقوله : (هذا ما ألفه الخيل بن أحمد البصري من حروف : أ. ب. ت. ث ...)[2]وأضاف أنه لم يمكنه (أن يبتدىء التأليف من أول : أ، ب، ت، ث ، وهو الألف ، لأن الألف حرف معتل ، فلما فاته الحرف الأول كره أن يبتدىء بالثاني . وهو الباء . إلا بعد حجة واستقصاء النظر ، فدبر ونظر إلى الحروف كلها ، وذاقها فوجد مخرج الكلام كله من الحلق ، فصير أولاها بالابتداء أدخل حرف في الحلق).

ومعنى هذا أن الخليل قد أحاط بالترتيب (الألفبائي) من عهد مبكر ، ولم يشأ أن يبتديء به مع اهتدائه إليه ، لأن أول حرف في هذا النظام حرف معتل ، ولا معنى أن يبتدىء بما يليه وهو الباء لأنه ترجيح بلا مرجح ، وتقديم دون أساس ، فذاق الحروف تجريبية ، فرأى أولاها بالابتداء حروف الحلق ، وذاقها مرة أخرى ، فرأى (العين) أدخل حرف منها في الحلق ، بل في أقصى الحلق[3].

قال ابن كيسان : (ت :٢٩٩ ه) سمعت من يذكر عن الخليل أنه قال : (لم أبدأ بالهمزة لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف ، ولا بالألف لأنها لا تكون في ابتداء كلمة لا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة ، ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية لا صوت لها ، فنزلت إلى الحيز الثاني وفيه العين والحاء ، فوجدت العين أنصع الحرفين فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف)[4].

وإذا صح ما نقله ابن كيسان ، وستجد في البحث ما يتعارض معه نوعا ما.

فالخليل يعتبر الهمزة والألف في الحيز الأول لأصوات حروف المعجم ، ولكنه ينتقل إلى الحيز الثاني فيختار الصوت الأنصع بتذوقه للحرف من مخرج الصوتي ، وهو يوضح طريقته المبدعة بذاك ، فيجرد من نفسه معنية يتكلم عنه ، فيقول : (وإنما كان ذواقه إياها أنه كان يفتح فاه بالألف ، ثم يظهر الحرف نحو : إب ، إت ،

---

1) مقدمة التحقيق لكتاب العين ، 1 / 10.
2) كتاب العين ، 47/1.
3) كتاب العين ، 47/1.
4) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ١٩١١ هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1418هـ ١٩٩٨م، 90/1.

إع ، إغ، فوجد العين أدخل الحروف في الحلق فجعلها أول الكتاب ، ثم ما قرب منها الأرفع فالأرفع حتى أتي آخرها وهو الميم)[1].

ومعنى هذا أنه سار مع الحروف مسيرة مختبرية استقرائية ، ابتداءً من أقصى الحلق ، فالحلق ، ومرورًا بفضائه ، فالأسنان ، وانتهاء بالشفة فالميم عندها ، لأن الميم أرفع حروف الشفة.

وهذا يدل على ذائقة حسية فريدة ، وصبر عنيف على الاستنتاج ، حتى توصل إلى ما توصل إليه ابتداعا وابتكارًا ، دون الاستعانة بأي جهاز علمي ، إذ لا جهاز آنذاك، وهو مالم يثبت العلم التشريحي الحديث بكل أجهزته الدقيقة ، ومختبراته الضخمة خلافا له فيما يبدو إلا يسيرا[2].

إن الخليل في ذائقته الصوتية هذه ، قد قلب حروف العربية ، فوضعها في منازل معينة ضمن مخارج صوتية معينة بحسب مدارج مقدرة من أقصى الحلق حتى إطباق الشفة في الميم.

المطلب الثالث : الصوت في منهجية سيبويه

اضافة لجهود الخليل الصوتية برزت جهود صوتية اخرى متناثرة ، تستند في أغلبها إلى مبتكرات الخليل ، توافقه حينًا ، وتخالفه حينا آخر. فأعضاء النطق مثلا عند الخليل وعند سيبويه (ت : ١٨٠هـ) واحدة ، والحروف في مدارجها ، ويعني بها الأصوات تبعا للخليل ، تبدأ بأقصى الحلق ، وتنتهي بالشفتين ، فهي عند سيبويه كما هي عند الخليل[3].

ولكن ترتيب الحروف في كتاب سيبويه تخالف ترتيب الخليل ، فحينما وضع الخليل الأبجدية الصوتية للمعجم العربي مبتكرة لها ، خالفه سيبويه في ترتيب تلك الأصوات ، إذ بدأ بالهمزة والألف والهاء ، وقدم الغين على الخاء ، وأخر القاف عن الكاف وهكذا ... [4].

1) كتاب العين ، 47/1.
2) المدخل إلى علم الأصوات دراسة مقارنة ، د. صلاح الدين صالح حسنين ، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة ، ط/1 ، 1981م ، ص125.
3) الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/٣، ، 1408 هـ - ١٩٨٨ م، 405/2.
4) المصدر السابق نفسه.

وهذا وإن كان خلافه جوهريًا في ترتيب مخارج الأصوات ، إلا أنه لا يعني العملية الاجتهادية في الموضوع دون الخروج عن الأصل عند الخليل. (كذلك نلاحظ ترتيب المجموعات الصوتية بالنظر إلى تقدمها وتأخرها ، فقد جاءت حروف الصفير في كتاب العين بعد الضاد ، وهو حرف حافة اللسان ، والذي عند سيبويه بعد الضاد : حروف الذلاقة. ونتيجة لتقديم حروف الصفير ، فقد وضع مكانها حروف الذلاقة ، ومعنى ذلك أنه في العين حدث تبادل بين حروف الصفير وحروف الزلاقة)[1].

إن الاختلاف من هذا القبيل لا يعدو وجهة النظر الصوتية المختلفة ، ولكنه لا يمانع أن تكون آراء سيبويه في الكتاب امتداد طبيعيًا لمدرسة الخليل ، نعم لا ينكر أن لسيبويه ابتكارته المقررة ، فنحن لا نبخس حقه ، ولا نجحد أهميته في منهج البحث الصوتي ، فقد كان له فضل بذلك لا ينكر ، فتصنيفه لصفات الأصوات في الجهر والهمس والشدة والرخاوة والتوسط ، وكشفه لملامح الإطباق واللين ، وتمييزه لمظاهر الاستطالة والمد والتفشي ، كل أولئك مما يتوج صوتيته بالأصالة[2].

ولسيبويه قدم سبق مشهود له في قضايا الإدغام ، وهي معالم صوتية في الصميم ، فقد قدم لها بدراسة علم الأصوات ، كما قدم الخليل معجمه بعلم الأصوات ، فالخليل قد ربط بين اللغة والصوت ، وسيبويه قد ربط بين قضايا الصوت نفسها ، لأن الإدغام قضية صوتية (ونحن نقرر هنا مطمئنين أن سيبويه قد وضع قواعد هذا البحث وأحكامه لا لفترة معينة من الزمن ، بل يكاد يكون ذلك نهائيًا ، وكان تصرفه فيها صادرة عن عبقرية سبقت الزمن ، فلم يكن ممن جاء بعده من العلماء والباحثين إلا أن اتبعوا نهجه ، واكتفوا بما قال ، ولم يزيدوا بعد سيبويه على ما قال حرفًا ، بل أخذوا يرددون عباراته مع كتبهم ، ويصرحون بأنهم إنما يتبعون مذهبه ، سواء في ذلك علماء النحو وعلماء القراءة)[3].

1) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ، د. حسام سعيد النعيمي ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الرشيد ، بغداد ، ط/1 ، 1980م ،ص229.

2) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، عبد الصبور شاهين ، ص ١٩٧.

3) أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية ، د. عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة علي جراح الصباح ، الكويت، ط/٢، ١٩٧٨م ، ص 174، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، عبد الصبور شاهين ، ص ١٩٨.

فتعريف المجهور عنده : (حرف أشبع الاعتماد في موضعه ، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ، ويجري الصوت. بينما المهموس : حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه)[1].

وقد ظلت محاولة سيبويه تفسير المجهور والمهموس من الأصوات (قانون سار عليه جميع من جاء بعده من النحاة والقراء. إلى أن جاءت بحوث المحدثين فصدقت كثيرًا مما قاله في هذا الباب)[2].

ومن المفيد الرجوع إلى ما فسره في هذا المجال الدكتور (ابراهيم أنيس) فقد أشبعها بحثا وتنويراً[3].

ولا يمكن في منظورنا أن تفصل سيبويه عن مدرسة الخليل في اللغة والأصوات ، فهو الممثل الحقيقي لها فيما نقل لنا من علم الخليل في الكتاب.

المطلب الرابع : الصوت في منهجية ابن جني.

وبعد مدرسة الخليل نجد ابن جني (ت : ٣٩٢ ه) مؤصل هذا الفن ومبرمجه ، وأول مضيف له إضافات مهمة ذات قيمة منهجية في الدراسات الصوتية ، حيث أن جهود ابن جني في الأصوات ارتفعت إلى مستوى الفكر المخطط والممنهج[4].

فقد نهض ابن جني بأعباء الصوت اللغوي بما يصح أن نطلق عليه اسم (الفكر الصوتي) ، إذ تجاوز مرحلة البناء والتأسيس إلى مرحلة التأصيل والنظرية ، فقد تمحض لقضية الأصوات في كتابه (سر صناعة الإعراب) مما جعله في عداد المبدعين ، وخطط لموضوعات الصوت مما اعتبر فيه من المؤصلين ، ونحن الآن بإزاء بيان المبادىء العامة لفكره الصوتي دون الدخول في جزئيات الموضوع.

ويجدر بنا في بداية ذلك أن ننتبه لملحظين مهمين ونحن نستعرض هذا الفكر في سر صناعة الأعراب[1] :

1) الكتاب ، سيبويه ، 284/2.
2) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ، عبد الصبور شاهين ، ص205.
3) الأصوات اللغوية إبراهيم أنيس ، ص ٩٢ وما بعدها.
4) البحث اللغوي عند العرب ، احمد مختار عمر، ص99.

أ. إن ابن جني كان أول من استعمل مصطلحًا لغويًا للدلالة على هذا العلم الذي ما زلنا نستعمله حتى الآن وهو (علم الأصوات)

ب . إن ابن جني يعد الرائد في هذه المدرسة ، وكان على حق في قوله في كتابه : (وما علمت أن أحدًا من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض ، ولا أشبعه هذا الإشباع ...)[2].

وبدءا من المقدمة يرسم ابن جني منهجه الصوتي ، لتقرأ فيه فكره ، وتتلمس فلسفته ، وتتثبت من وجهته ، فيذكر أحوال الأصوات في حروف المعجم العربي ، قال: (وأذكر أحوال هذه الحروف في مخارجها ومدارجها وانقسام أصنافها وأحكام مجهورها ومهموسها وشديدها ورخوها وصحيحها ومعتلها ومطبقها ومنفتحها وساكنها ومتحركها ومضغوطها ومهتوتها ومنحرفها ومشربها ومستويها ومكررها ومستعليها ومنخفضها إلى غير ذلك من أحكامها وأجناسها وأذكر فرق ما بين الحرف والحركة وأين محل الحركة من الحرف هل هي قبله أو معه أو بعده و وأذكر أيضا الحروف التي هي فروع مستحسنة والحروف التي هي فروع مستقبحة والحركات التي هي فروع متولدة عن الحركات كتفرع الحرف عن الحرف وأذكر أيضا ما كان من الحروف في حال سكونه له مخرج ما فإذا حرك أقلقته الحركة وأزالته عن محله ، إلى غير ذلك من أجناسها[3].

وابن جني في هذا الاسترسال السلس يعطينا مهمة الفكر الصوتي في تحقيق المصطلحات بعامة عن طريق تشخيص المسميات التي أسماها ، وإن سبق إلى بعضها عند الخليل وسيبويه وهو لا يكتفي بهذا القدر حتى يبحث الفروق ، ويعين المميزات ويذكر الخصائص لكل حرف من هذه الأصناف ، ويفرق بينها وبين الحركات ، مع لوازم البحث ومقتضياته ، إلمام بجميع الجوانب ، وتنقيب عن كل النوادر المتعلقة بهذه الأبواب فيقول: (وأذكر فوق مابين الحرف والحركة ، وأين محل الحركة من الحرف : قبله أو معه أو بعده؟ وأذكر أيضا الحروف التي هي فروع مستحسنة ، فروع مستقبحة ، والحركات التي هي فروع متولدة عن الحركات ، كتفرع الحروف من الحروف. وأذكر أيضا ما كان من الحروف في حال سكونه له مخرج ما ، فإذا حرك أقلقته الحركة ، وأزالته عن محله في حال سكونه ، وأذكر أيضا أحوال هذه الحروف في أشكالها ، والغرض في وضع

---

1) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ، د. حسام سعيد النعيمي، ص ٢٨٩، البحث اللغوي عند العرب ،أحمد مختار عمر ،ص١٠١.

2) سر صناعة الإعراب، أبي الفتح عثمان بن جني (المتوفى ٣٩٢ ه)، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم– دمشق ، ط1 ، 1985 ، 63/1.

3) المصدر السابق ، 4/1 وما بعدها.

واضعها ، وكيف ألفاظها ما دامت أصوات مقطعة ، ثم كيف ألفاظها إذا صارت أسماء معرفة ، ما الذي يتوالى فيه إعلان بعد نقله ، مما يبقى بعد ذلك من الصحة على قديم حاله ، وما يمكن تركبه ومجاورته من هذه الحروف وما لا يمكن ذلك فيه ، وما يحسن وما يقبح فيه مما ذكرنا ، ثم أفرد . فيما بعد. لكل حرف منها بابا أغترف فيه ذكر أحواله وتصرفه في الكلام من أصليته وزيادته ، وصحته وعلته ، وقلبه إلى غيره ، وقلب غيره إليه)[1].

إن هذا المنهج يكشف عن عمق الفكر الصوتي عند ابن جني إذ يعرض فيه عصارة تجاربه الصوتية دقيقة منظمة ، ويتفرغ لبحث أصعب المشكلات الصوتية بترتيب دقيق يتنقل فيه من الادنى الى الاعلى ، ومن البسيط الى المركب حتى اذا تكاملت الصورة لديه ، بدأ بالبحث المركز[2].

الخاتمة

1) سر صناعة الاعراب ، 5/1 وما بعدها.
2) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ، حسام النعيمي ، ص301.

الحمد الله في البدء والختام والصلاة والسلام على سيد الأنام وعلى آله الطيبين الطاهرين الكرام.

وبعد هذه الرحلة الطويلة مع العلل الصوتية ، نحط رحالنا لنضع ما تعلمناه واستخلصناه منه عسى الله يوفقنا في ذلك ، وهذه بعض خلاصات هذا البحث الذي ينتظر الاكتمال ومعاودة النظر في التراث الصوتي ند العرب في ضوء اللسانيات الحديثة نجملها فيما يلي:

1. إن الدراسة الصوتية هي عماد أي لغة من اللغات وبدونها لا يمكن لها أن ترقي ؛ واري إن أي دراسة لغوية لا تأخذ بعين الاعتبار الجانب الصوتي كملحظ أساس تعد قاصرة وغير منتجة.

٢. كان أوائل العلماء والباحثين في العربية يعرفون قدر دراسة الأصوات اللغوية ، في اصطلاح الكتابة ويعتبرونها حجر الأساس لأي دراسة لغوية ، لذلك اعتمدوا عليها كثيرة . واهتم علماء التجويد بأصوات القرآن الكريم ، فدرسوها مفردة وفي سياقها، فحددوا مخارج الأصوات وصفاتها ، وطريقة نطقها كما حددوا الظواهر الصوتية التي تنتج الأصوات في المجموعات الكلامية

٣. أن البحث الصوتي العربي لم يضمه مصدر واحد، ولم يدرسه عالم واحد، ولكنه تناثر بين طيات مصنفات علوم العربية المختلفة، الصوتية منها والنحوية الصرفية، والبلاغية، والتجويدية وإعجاز القرآن والمعاجم، وتعدد العلماء الذين شاركوا في إقامة صرحه وتوطيد بنيانه وكل ذلك يدل على عناية القدامى والمحدثين وتعلقهم بهذا الميدان الأهميته وأثره الفعال في تفسير كثير من الظواهر اللغوية.

4. العلة الصوتية : هي التي ترادف كل حكم لغوي سواء أكان صوتيا أم صرفيا أم نحويا.

5. اتخذت المباحث الصوتية عند العرب القرآن أساسا لتطلعاتها ، وآياته مضمارة لاستلهام نتائجها ، وهي حينما تمازج بين الأصوات واللغة ، وتقارب بين اللغة والفكر ، فإنما تتجه بطبيعتها التفكيرية لرصد تلك الأبعاد مسخرة لخدمة القرآن الكريم.

6. الخليل أول من التفت إلى صلة الدرس الصوتي بالدراسات اللغوية الصرفية ، الصرفية والنحوية ، ولذلك كان للدراسة الصوتية من عنايته نصيب كبير ، فقد أعاد النظر في ترتيب الأصوات القديمة ، الذي لم يكن مبنية على أساس منطقي ، ولا على أساس لغوي ، فرتبها بحسب المخارج في الفم ، وكان ذلك فتحة جديدة .

٧. اضافة جهود الخليل الصوتية برزت جهود صوتية أخرى متناثرة ، تستند في أغلبها إلى مبتكرات الخليل ، توافقه حينا ، وتخالفه حينا آخر.

٨. ترتيب الحروف في كتاب سيبويه تخالف ترتيب الخليل ، فحينما وضع الخليل الأبجدية الصوتية للمعجم العربي مبتكرة لها ، خالفه سيبويه في ترتيب تلك الأصوات ، إذ بدأ بالهمزة والألف والهاء ، وقدم الغين على الخاء ، وأخر القاف عن الكاف وهكذا .....

٩. ولسيبويه قدم سبق مشهود له في قضايا الإدغام ، وهي معالم صوتية في الصميم ، فقد قدم لها بدراسة علم الأصوات ، كما قدم الخليل معجمه بعلم الأصوات ، فالخليل قد ربط بين اللغة والصوت ، وسيبويه قد ربط بين قضايا الصوت نفسها ، لأن الإدغام قضية صوتية (ونحن نقرر هنا مطمئنين أن سيبويه قد وضع قواعد هذا البحث وأحكامه.

10. بعد مدرسة الخليل نجد ابن جني مؤصل هذا الفن ومبرمجة ، ، وأول مضيف له إضافات مهمة ذات قيمة منهجية في الدراسات الصوتية ، حيث أن جهود ابن جني في الأصوات ارتفعت إلى مستوى الفكر المخطط والممنهج . هذا جهد المقل فإن وفقنا فيه إلى الصواب فذاك من فضل الله تعالى ، وإن كانت الاخرى فمن نفسي ، والله نسأل أن يكون عملنا خالصا لوجهه الكريم ويكون لنا ذخرة يوم الدين ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين ، وأصحابه المنتجبين وسلم تسليما كثيرة.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم :-

1. أبحاث في أصوات العربية ، الدكتور حسام سعيد النعيمي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط/١، ٩٩١م.

٢. أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ، أبو عمرو بن العلاء، د. عبد الصبور شاهين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ،ط1، ١٩٨٧م.

3. أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية ، د. عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة علي جراح الصباح ، الكويت ، ط/٢، ١٩٧٨م.

4. الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس ، القاهرة ، ط/4، ١٩٧١.

5. الأصوات اللغوية، د. عبد القادر عبدالجليل ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، ط1،1998م .

6. الإعجاز النحوي في القرآن الكريم ، الدكتور فتحي عبد الفتاح الدجني ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ط1، 1984م.

٧. إعراب القرآن، أبو جعفر الناس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ١٤٢١ هـ.

٨. الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (المتوفي 340هـ) ، تحقيق : مازن المبارك، دار النفائس ،بيروت، ط/4 ، 1402هـ. ١٩٨٢م.

9. البحث اللغوي عند العرب ، د. أحمد مختار عمر ، منشورات عالم الكتب ، القاهرة ،ط/4 ، 1982م.

١٠. بحوث لغوية، د. احمد مطلوب، منشورات دار الفكر - عمان، ط/١ ، ١٩٨٧م.

11. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: 1205هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١٢. التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه ، د. رمضان عبدالتواب ، دار الرفاعي ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط/١، ١٩٨٣م.

١٣. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفي: 816هـ)، حققه وضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1403هـ -١٩٨٣م .

14. التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم الصوت الحديث، د. عادل نذير بيري الحساني ، ديوان الوقف السني ، بغداد ، مركز البحوث والدراسات الإسلامية ، ط/١، 1430ه - 2009م.

15. الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ، د. حسام سعيد النعيمي ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الرشيد للنشر، بغداد ، ط/١، ١٩٨٠م.

16. دراسة الصوت اللغوي ، الدكتور أحمد مختار دمر ، مطابع عالم، الكتب ، القاهرة 1396هـ .. ١٩٧٩م .

١٧. دراسة علم الأصوات، عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب ، القاهرة ، 1985 م.

١٨. سر صناعة الإعراب، أبي الفتح عثمان بن جني (المتوفى ٣٩٢ هـ)، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم - دمشق، ط1، 1985.

١٩. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان،1398 هـ / 1978م .

٢٠. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفي: 395هـ)، محمد علي بيضون، ط1418،1 هـ -١٩٩٧م.

٢١. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط/4 ، 1407 هـ - 1987م.

٢٢. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٢٣. في البحث الصوتي عند العرب ، خليل إبراهيم العطية، دار الجاحظ للنشر بغداد،1983م.

24. في النحو العربي ، قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث ، د. مهدي المخزومي ، مطبعة مصطفى البابي ، ط/١، 1966م.

25. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ) ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف:

محمد نعيم العرقسوسي مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ، ط/٨، 1426 هـ - 2005م.

26. الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء ، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى : 180هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/٣، ، 1408 هـ - ١٩٨٨م.

٢٧. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٢٨. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، ط/٣، 1414 هـ.

٢٩. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: 458 هـ) تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط/١،1421هـ -2000م.

٣٠. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفي: 666هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية بيروت - صيدا، ط/5، 1420هـ / ١٩٩٩م.

٣١. المدخل إلى علم الأصوات دراسة مقارنة ، د. صلاح الدين صالح حسنين ، دار الاتحاد للطباعة ، القاهرة ، ط1، ١٩٨١م.

٣٢. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى : 911 هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، ط/١، 1418 هـ ، 1998م.

٣٣. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395 هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ - ١٩٧٩م.

34. المماثلة الصوتية في اللغة العربية ، شادي مجلي عيسى سكر ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط/٣، ١٩٩١م.

٣٠. المماثلة الصوتية مظاهرها في القرآن الكريم ، د. عون المبروك زقلم، منشورات جامعة الزاوية ، ليبيا ، ١٩٩٨م.

36. مناهج البحث في اللغة ، تمام حسان ،دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط/١، 1955م.

٣٧. منهج الدرس الصوتي عند العرب ، علي خليف حسين، أطروحة دكتوراه، كأية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٢م.

٣٨. النحو العربي العلة النحوية، نشأتها وتطورها، د. مازن المبارك، دار البشائر ، دمشق، ط4، 1434هـ. ٢٠٠٣.

٣٩. النكت في إعجاز القرآن ، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (المتوفى: 384هـ)، تحقيق : محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام ، دار المعارف بمصر، ط/٣، 1976م.